# تاريخ الفلسفة
# 31: ديكارت،
# بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

سنركز هذا الأسبوع على رينيه ديكارت، وآمل أن تدركوا فورًا أهمية هذا التداخل بين التقاليد في العصر الحديث. لقد تناولنا بيكون وهوبز من المدرسة التجريبية البريطانية المتطورة، وصولًا إلى حوالي عام ١٧٠٠. والآن نتناول ديكارت، الذي سيتبعه سبينوزا وليبنيز، وصولًا إلى حوالي عام ١٧٠٠ في المدرسة العقلانية القارية.

إذن، ننتقل إلى الفلسفة القارية. والتباين، على امتداد هذا الخط، يُظهر شيئًا كهذا. هوبز، كما رأينا، اسمي بوضوح، متأثر بشدة بويليام الأوكامي.

لا توجد مبادئ كلية حقيقية، بل هي المبادئ التفسيرية الوحيدة اللازمة لتفسير أي عملية في العالم المادي، أو في البشر، أو في المجتمع السياسي. ببساطة، هناك سبب فاعل وسبب مادي. لا توجد أسباب صورية أو نهائية.

وبالتالي، فإن مذهبه الاسمي يُفضي إلى نوعٍ من نظرية المعرفة التجريبية البحتة، حيث يحاول، على غرار بيكون، فهم الأنماط الموحدة لعلاقة السبب والنتيجة الظاهرة. وعلى النقيض من ذلك، سنجد أن ديكارت ليس اسميًا، بل مفاهيميًا. وهذا، بالطبع، هو ما يُتيح عقلانيته.

بمعنى آخر، هذا النوع من العقلانية الذي يرى أن لدينا معرفة فطرية، بمعنى يختلف عن مفهوم أفلاطون، بمبادئ عامة ومفاهيم كونية. ولذلك، يستطيع أفلاطون استخلاص مقدماته المنطقية الكونية من منظور مختلف عن التعميمات التجريبية، لأنه من أنصار المذهب المفاهيمي. لدينا بالفعل معرفة فطرية ببعض المبادئ الكونية.

- إذن، ديكارت، العقلاني، في نظريته المعرفية، يتبنى كل من هوبز وديكارت رؤية تمثيلية. بمعنى آخر، الوعي وأقول الوعي لا العقل عند الحديث عن هوبز لأسباب واضحة - يدرك مباشرةً أفكاره التي تمثل له الحقائق الخارجية. إذن، الفكرة هي وجود تداخل معرفي بين حالاتنا الذهنية والحقائق الخارجية، بحيث لا نملك أي إدراك مباشر لها.

لا نعرفها إلا من خلال هذه التمثيلات في الوعي، أي أفكارنا. أفكار حسية، وأفكار تجريبية عند هوبز، ولكنها تشمل، بالطبع، أفكارًا حدسية عند ديكارت. ولكن في كلتا الحالتين، لديهما نظرية تمثيلية للمعرفة، وهذا سيصبح بالغ الأهمية.

رأينا ذلك عند هوبز من خلال تمييزه بين الصفات الأولية والثانوية، فبينما تُعدّ الصفات الأولية صفاتٍ للأشياء الخارجية، إلا أنها تُصوَّر في أذهاننا مرتبطةً بصفاتٍ ثانوية. وهذه الصفات الثانوية هي تمثيلاتٌ ذاتيةٌ بحتةٌ لا نظير موضوعي لها. ومن هنا تتضح نظرية المعرفة.

عند الحديث عن المنهجية، ذكرتُ أن منهج هوبز مستوحى من غاليليو، وهو منهج إعادة بناء، محاولة لإعادة هيكلة فهمنا في شكل نظام استنتاجي ذي مقدمات تجريبية. ببساطة، إن شئت، هذه طريقة تعليمية أو بلاغية لتنظيم الفهم وإدراك التداعيات. ثمة تشابه واضح بين هذا المنهج ومنهج ديكارت، فكلاهما يسعى إلى أن تتخذ فلسفته شكل نظام استنتاجي.

مع ذلك، فإن النمط الذي اتبعه ديكارت ليس نمط المقدمات التجريبية المؤدية إلى نظام استنتاجي، بل نمط الحقائق البديهية أو المقدمات الحدسية، كما هو الحال في الرياضيات .لذا، فإن نموذج ديكارت هو نموذج .النظام الهندسي، حيث توجد بديهيات متبوعة ببراهين استنتاجية، تؤدي إلى استنتاجات قاطعة ومؤكدة .وجزء من سبب اتباع ديكارت لهذا النهج هو رد فعله على الشكوكية التي كانت سائدة آنذاك

كان ما يريده هو اليقين التام، سواءً كان يقيناً حدسياً أو يقيناً منطقياً .وهكذا، مقدمات يقينية حدسياً ونتائج .يقينية منطقياً، وذلك بفضل المنهج الرياضي

.وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقًا .في سياق تطور معتقداته الفلسفية، يبرز هوبز كماديٍّ واضح .فالمادة والحركة، على ما يبدو، تفسران كل شيء

أما ديكارت، من جهة أخرى، فهو ثنائي .فهو يريد التمييز بين العقل والمادة، ويؤكد أن العقول أو الأرواح كيانات غير مادية، وبالتالي فإن الإنسان مركب من نوعين مختلفين من الأشياء .فالكيان المادي الممتد، أي .المادة، والكيان المفكر، أي العقل أو الروح، يمثلان ثنائية

حسناً؟ كان هوبز من أنصار الحتمية .نعم، كل شيء، بما في ذلك أفكارنا وقراراتنا، محكومٌ بعوامل سببية .ما .نعتقد أنه قرار حر ليس إلا ترددنا بين دافعين متعارضين، أو حافزين، كما ترى

والخيار ببساطة هو الانحياز إلى أحد جانبي هذا التذبذب .من جهة أخرى، يستطيع ديكارت، الذي يرى أن للعقل والروح مكانة منفصلة عن الجسد، أن يقول إن العقل مستقل عن تلك الآليات السببية .وهكذا يؤكد .ديكارت على حرية الإرادة، وحرية اختياراتنا

هو ليبرتاري وليس حتميًا .الأنانية النفسية هي سمة هوبز .بمعنى آخر، دافعنا للبقاء، وحفظ الذات، هو .الشغف المُهيمن ، وهذه المصلحة الذاتية هي التي تُحركنا في كل ما نفعله

،والنتيجة هي أنه عندما يتعلق الأمر بالأخلاق، فإن استناده إلى العقل السليم، وهو نفس ما استند إليه أوكام يتمحور حول الحكمة والعواقب .وما يتحدث عنه بالقانون الطبيعي ليس قانونًا طبيعيًا قائمًا على أسس .ميتافيزيقية في طبيعة الواقع، بل هو ببساطة ذلك النوع من القانون الذي يسعى إليه البشر بدافع غريزة البقاء

.بمعنى آخر، اصنع السلام إن أردت البقاء .اصنع السلام .هذه هي القاعدة الأولى للحكمة

وهذا ما يسميه القانون الطبيعي .ويتسم النهج الأخلاقي العام لهوبز بنزعة قوية نحو المتعة .وهو في الحقيقة .أخلاق أبيقورية، إذا ما عدنا إلى العصر الهلنستي

بينما سنرى أن ديكارت أقرب إلى الأخلاق الرواقية .فهو لا يكتب بشكل منهجي في الأخلاق، لكن لديه كتابًا عن الأهواء والعواطف والمشاعر .ورؤيته هي أن أهواءنا وعواطفنا ورغباتنا جيدة في حد ذاتها، لكنها قد توقعنا في .مشاكل

بمعنى آخر، لديه نظرة أكثر إيجابية للطبيعة البشرية من هوبز .ما تحتاجه العواطف هو قليل من التوجيه .العقلاني .لذا، المسألة هي سيطرة العقل على العواطف، والخير يتبع ذلك بشكل طبيعي

لذا فهي أقرب إلى الأخلاق الرواقية .ما سعى إليه هوبز هو هذا المنظور الإيراستي للعلاقة بين الكنيسة والدولة .أي أنه في المسائل التي تنشأ فيها اختلافات وخلافات دينية، وحيث يندلع التعصب والصراع، كما .حدث في الحرب الأهلية الإنجليزية، فإن ما يجب علينا فعله هو الخضوع لقرار الدولة في هذا الشأن

وبناءً على ذلك، تتمتع الدولة بسلطة تحديد ما سيصبح عقيدة كنسية .أما أساسيات الإيمان المسيحي فهي أمرٌ متفق عليه.

وجود الله، والثالوث الإلهي، والمغفرة من خلال المسيح .ولكن بعيدًا عن هذه الأساسيات، ولتجنب الصراعات الدينية التي كانت متفشية في القارة الأوروبية وبريطانيا على حد سواء، كانت الكنيسة خاضعة للدولة .كانت هذه النظرة الإيراستية شائعة جدًا في بريطانيا آنذاك.

ومن جهة أخرى، يبدو أن ديكارت كان كاثوليكيًا رومانيًا تقليديًا إلى حد كبير في تفكيره بشأن الكنيسة .وهذا يقودنا إلى النقطة التاسعة، وهي ما يراه هوبز ذا أهمية فلسفية فيما يتعلق بالله .يبدو أنه يتبلور، رغم أنه لم يصغ برهانًا، إلا أنه يعتقد أنه مقنع على الأقل، أن الله هو السبب الفاعل الأول في سلسلة السبب والنتيجة التي أنتجت الأشياء كما نعرفها اليوم.

هذا كل ما يرغب في قوله من الناحية الفلسفية، نظرًا لمنهجيته القائمة على تحليل آليات السبب والنتيجة. هذا كل ما يرغب في قوله عن الله، مع أنه، بصفته من أتباع الكنيسة الأنجليكانية، بدا واضحًا أنه يؤمن بأكثر من ذلك، لكن ذلك استنادًا إلى سلطة الكنيسة والدولة .ويتحدث بإسهاب عن الوحي الإلهي.

من جهة أخرى، يريد ديكارت أن يقول المزيد .تذكروا أن ديكارت كان صاحب رؤية مفاهيمية، لا واقعياً فيما يتعلق بالكليات .لذا، فيما يخص الحقائق الموضوعية المعنية، لا يمكنه أن يتحدث عن الله إلا كسبب فاعل، لا كسبب صوري، بل كسبب فاعل فقط.

لكنه يرغب في الاحتفاظ بصورة الله التي استقاها من العصور الوسطى .فقد تلقى تعليمه في مدرسة يسوعية في لا فليش، ولذلك كان على دراية جيدة بالفكر الوسيط، مثل توما الأكويني ودونز سكوتس وغيرهما.

إذن ، الله ليس فقط العلة الفاعلة، بل هو الخير المطلق .ولا نجد هوبز يتحدث فلسفياً عن صلاح الله، بينما نجد ديكارت يتحدث عنه.

و، سأذكر السبب بعد قليل، لكن دعوني أتوقف هنا لأرى إن كان هذا الشرح الموجز عن هوبز قد أنعش معلوماتك .هل هو واضح؟ هل تريدين توضيحًا أو إعادة شرح أي شيء؟ نعم، كريستين .حسنًا.

بينما يجمع العالم بيانات رصدية، تتوافر كمية هائلة من المعلومات، غير المنسقة بالضرورة، والتي تُفسَّر من منظور نظري واستنتاجي .الآن، كيف سيتم تنظيم هذه المعلومات؟ في الواقع، ما يحدث هو أن ملاحظات العالم وتجاربه وتحليلاته تُفكّك عالم تجاربنا اليومية .على سبيل المثال، الشجرة التي تسقط عليها تفاحة، والتي ستصيب إسحاق نيوتن في رأسه.

حسنًا، كما ترى، تحليل كل ذلك .لكن ما تريده الآن هو فهم نظري منهجي .لذا، بعد تفكيكه إلى جميع الملاحظات المحددة ، تحاول الآن إعادة بناء هذا الفهم.

ثم تعيد صياغتها في صورة مقدمات، متبوعة باستنتاجات منطقية، تقودك إلى مزيد من النتائج .باختصار، ترتيب جميع ملاحظاتك كمقدمات أو استنتاجات إضافية لإظهار الترابط المنطقي .حسنًا، ثم استخلاص المزيد من الاستنتاجات.

حسنًا، المنهج الاستنباطي .عندما نصل إلى القرن التاسع عشر، سيطرأ تغيير طفيف عليه، مع أنه سيظل قائمًا .ففي المنهج الاستنباطي الفرضي ، أي أن مقدمات الاستنباط الاستنباطي هي فرضيات.

،أما بالنسبة لهوبز، فالمقدمات عبارة عن تعميمات تجريبية .هل تلاحظ هذا الفرق؟ إذن، لديك، بطريقة ما
،ثلاث طرق لصياغة فهم نظري في العلوم .إما مقدمات تجريبية، ثم استدلال استنتاجي، أو مقدمات حدسية
.مثل البديهيات الرياضية، ثم استدلال استنتاجي، أو، بدءًا من القرن التاسع عشر، فرضية

،وما تستنتجه من الفرضيات هو ما توصلت إليه تجريبياً .أنت تُظهر أن جميعها تنبع من قانون عام شامل
.وهو تعميم تجريبي واسع، تُعدّ نتائجك التجريبية مجرد حالات خاصة منه

،حسنًا، سنتناول هذا الموضوع عندما نصل إلى جون ستيوارت ميل في الفصل الدراسي القادم .ديفيد؟ نعم
نعم، يبدو أن بيكون لم يكن مُلمًا بالمنهج الاستنتاجي .ستجد في أي تعليق تقريبًا، أو أي عمل تاريخي يتحدث
.عن بيكون، ميله، بل حاجته إلى اللجوء إلى الأساليب الرياضية، وهذا أحد أوجه قصوره

يُعدّ استخدام الفرضيات أحد الفروقات بين مناهج بيكون والمناهج الاستقرائية اللاحقة، كما ترى .الآن، يبرز
،استخدام الفرضيات، كما كنتُ أقول لكريستين في القرن التاسع عشر .أما المناهج الرياضية، فلا، بطريقة ما
.فهي مُطبّقة بالفعل عند ديكارت

،حسنًا .هل هناك أي شيء آخر بخصوص هوبز؟ دعني أضيف تعليقًا آخر بخصوص النقطة التاسعة
.المتعلقة بالله

لقد تحدثنا عن انهيار العلوم في العصور الوسطى، المتجذرة في العلوم اليونانية، الفيثاغورية، الأفلاطونية، أو الأرسطية، بحسب الحالة .ويعود انهيار تلك العلوم، إلى حد كبير، إلى صعود المذهب الاسمي، أي تطور المناهج التجريبية البحتة، إذ لا توجد أشكال يمكن الوصول إليها إلا بالوسائل التجريبية .وقد قيل إن هناك أسبابًا أخرى للتحول إلى المناهج التجريبية غير مجرد صعود المذهب الاسمي.

لأسباب أخرى، قام الفيلسوف البريطاني مايكل فوستر، عضو البرلمان، في سلسلة مقالات نُشرت في ثلاثينيات القرن العشرين، في مجلة "مايند"، وهي سلسلة مقالات شهيرة، بتطوير هذه الأطروحة، التي مفادها أن صعود العلوم التجريبية يعود إلى حقيقة أنه بحلول أواخر العصور الوسطى، تم الاعتراف بأنه إذا أخذنا عقيدة الخلق على محمل الجد، فإن طبيعة الخلق المادي تكون عرضية تمامًا، وليست بالضرورة كذلك.

ليس بالضرورة أن يكون الأمر على هذا النحو .بمعنى آخر، إذا لم يكن هناك خلق ضروري، إذا لم تكن هناك أشكال ثابتة تستلزم وجود الأشياء، فإن ما لدينا هو عرضية الأشياء المخلوقة، كما قال ويليام الأوكامي .ولكن إذا أردت فهم طبيعة الأشياء، فما عليك سوى النظر إلى الأساليب التجريبية.

لكن ما الذي يضمن لنا أن تكون عمليات الطبيعة متاحة ومفهومة، وأن تكون أساليبنا التجريبية موثوقة؟ وهنا، مرة أخرى، نجد نوعًا من التبرير اللاهوتي .ألفريد نورث وايتهيد، الذي سنقرأ له في الثلث الأخير من الفصل الدراسي الثاني .ألفريد نورث وايتهيد، عالم رياضيات وفيزياء وفيلسوف من القرن العشرين.

يجادل في موضعٍ ما بأن الثقة في عقلانية الله هي التي منحت الثقة في إمكانية فهم خلقه .فبغض النظر عن نظرية المُثُل، التي يُفترض أن الله قد منح من خلالها نظامًا مفهومًا للخلق، فإنّ هذه الثقة، بمعزلٍ تام عن نظرية المُثُل، منحت الله العقلاني إمكانية فهم الخلق .ومع ذلك، يبقى السؤال مطروحًا ليس حول الشروط الموضوعية التي تجعل الطبيعة مفهومة، بل حول الشروط الذاتية التي تجعل العقلانية البشرية موثوقة، وتجعل الحواس البشرية قابلة للتصديق.

أترى ؟ الآن، الشخص الذي حاول إثبات موثوقية العقل البشري والحواس هو ديكارت .وإذا كان تعريفك بديكارت في مقررك التمهيدي قد اقتصر على شكوكه، فهو ديكارت نفسه .يبدأ منهجه من حيث يبدأ الشكّ.

متشكك في العقل، ومتشكك في الحواس .لكنك ستجد أنه بحلول التأمل الرابع، يجادل بأن العقل جدير بالثقة لأن إلهًا صالحًا لن يخدعنا بمنحنا قدرات عقلية معيبة .لذا، فالأمر قائم على صلاح الله.

وأخيرًا، في التأمل السادس، في ختام تأملاته ، يتطرق إلى الحديث عن التجربة الحسية .وهناك أيضًا، يُعيد طرح الحجة نفسها، وهي أن حواسنا، في التحليل النهائي، موثوقة إذا استخدمناها استخدامًا صحيحًا، لأن إلهًا صالحًا لن يخدعنا بمنحنا حواسًا غير موثوقة .إذًا، الفكرة هي أن ديكارت قادر على تجاوز مجرد القول بأن الله علة فاعلة.

بفضل فضل الله، يستطيع أن يتجاوز المألوف ويتحدث عن موثوقية العقل البشري والحواس، ولذا فهو أكثر تفاؤلاً بكثير بشأن تطور العلوم والفلسفة مما كان عليه المتشككون، وأكثر ثقةً بالإمكانيات العقلانية من توماس هوبز .هل لديك تعليق؟ سؤال؟ لقد دار نقاش وجدل واسع حول تأثير الفكر الوسيط في إرساء أسس نشأة العلوم الحديثة .وقد نوقش هذا الأمر باستفاضة في تاريخ العلوم.

أحد خريجينا، ديفيد ليندبيرغ، يُدرّس تاريخ العلوم في جامعة ويسكونسن بمدينة ماديسون .وليندبيرغ، كما هو معروف، يشكّك في هذه التبريرات السهلة .ويشير إلى أنه في أما النصوص الفعلية من العصور الوسطى، فلا يجد فيها هذا النوع من الثقة.

لكنّ جوهر الأمر موجود، وهذا جزء من الإجابة .والأمر الآخر هو أن جوهر الثقة في عالمٍ خلقه الله هو ما يقوم عليه كلٌّ من نظرية المُثُل، وكذلك الثقة المستمرة التي كان يتمتع بها أمثال أوكام وبيكون في إمكانية فهم الطبيعة تجريبيًا .لذا، طالما أنك تُعبّر عن ذلك بحذر، يبدو لي أن هناك أساسًا متينًا.

ديفيد؟ هل نشأت الثقة من الثقة؟ أطروحة ديكارت ليست أطروحة تاريخية .هو لا يقول إن الثقة في العلم نشأت بسبب ...لا، هذه أطروحة أشخاص مثل وايتهيد، ومايكل فوستر.

تتلخص أطروحة ديكارت في أنها، منطقياً، أطروحة منطقية وليست تاريخية .منطقياً، بما أن الله خير، حسناً، هذه هي المقدمة، وبما أن الله خير، فقد قدم في التأمل السابق برهاناً على ذلك، كما ترى .ولكن إذا كان الله خيراً، فإن ما يفعله الله خير.

لذا، فإنّ القدرات والملكات التي وهبنا الله إياها موثوقة، وإلا لكان الله يخدعنا، وهذا ليس بالأمر الجيد .فالله الصالح لا يخدع، ولا يمنحنا قدرات خادعة .إذن، هذا تبرير منطقي، وليس مجرد حجة تاريخية.

حسنًا .إذًا أنا مستعد للانتقال إلى ديكارت نفسه .ما رأيك؟ حسنًا.

ما لدينا في هذه المختارات هو كتاب "التأملات"، الذي يُعدّ على الأرجح عمله الأكثر تأثيرًا .في الواقع، إذا قرأتَ مقدمة المحرر، مقدمة كوفمان، قبل الخوض في التأملات، ستجد أنه يُشير إلى أن هذا العمل كان نقطة انطلاق فلسفة بنديكت سبينوزا، والفيلسوف الفرنسي مالبرانش، وليبنيز لاحقًا .مرجعٌ بالغ التأثير.

علاوة على ذلك، لا يزال ديكارت حتى يومنا هذا على الأرجح الفيلسوف الفرنسي الأكثر تقديرًا قبل القرن العشرين، وفي القرن العشرين، لا يزال الأكثر تقديرًا بين الفلاسفة الفرنسيين .ويبدو أن من الملاحظ أن جميع المحاضرين في جامعة السوربون، عند إلقاء محاضراتهم لأول مرة، يُشيدون برينيه ديكارت، فهو شخصية عظيمة بكل المقاييس.

لكنك قد تدرك، وأنت تقرأ التأملات، على الفور تقريبًا أنه على الرغم من كل التباين بين هوبز، وكذلك بين بيكون وديكارت، إلا أن هناك نقطة تشابه قوية في البداية بين بيكون وديكارت .فبيكون يبدأ حديثه عن كيفية .معرفتنا بهدم جميع الأصنام .أتذكر؟ أصنام الكهف، وأصنام السوق، وأصنام ...وهكذا

،أي بعبارة أخرى، افتراضات خاطئة وأساليب خاطئة .فهو لا يثق لا بالأساليب الفلسفية ولا العلمية القديمة .ولا بالمعتقدات الفلسفية القديمة .فكلها عرضة للشك

هذا ما يُميّز بيكون، لكن ديكارت، في هذا الصدد، يُشبهه تمامًا، لأن التأمل الأول في تأملات ديكارت هو محاولة منه لشرح أطروحته "أشك"، وتقديم أسباب للشك .الآن، ما يفعلانه، في السياق التاريخي، بات واضحًا تمامًا .تذكر ما قلناه عن الفراغ المعرفي الذي أحدثه انهيار المنهجية المدرسية؟ تذكر صعود الشكوكية من جديد ؟ إذن، ما يفعله كل من بيكون وهوبز هو إيلاء اهتمام جاد لخضوع المتشككين لأساليب .المعرفة والمعتقدات السائدة

إيلاء اهتمام جاد .والتماهي، إن صح التعبير، مع الموقف الشكّي .ومن خلال ابتكار منهج جديد، الخروج من .دائرة الشك إلى عصر جديد من البحث الفلسفي

إذن، هناك جانبٌ يُقرّ فيه كلاهما برأي المتشكك بشأن العلم والفلسفة حتى الآن، أليس كذلك؟ لكن القول بأن العلم والفلسفة حتى الآن موضع شك لا يعني أنهما سيظلان كذلك في المستقبل، إذا استطعنا إيجاد المنهج المناسب .وهذا تحديدًا ما يحاولان فعله .كان بيكون يبتكر منهجًا تجريبيًا أكثر دقةً من المنهج .المستخدم سابقًا

ابتكر ديكارت نوعًا من التحليل والمنهج المنطقي الذي يعتقد أنه كان سائدًا في الرياضيات، وهو ما لم يكن هؤلاء المتشككون يشككون فيه في عصره، على ما يبدو .في الواقع ، كتب سيكستوس إمبيريكوس، المتشكك .الروماني ، كتابًا ضد علماء الرياضيات .لم يشكك ديكارت قط في طبيعة الاستدلال الرياضي

،حسنًا، لا داعي للتساؤل .نعم، هو يفعل ذلك، لكن الاستدلال الرياضي هو الذي كان أقل عرضة للشك وأكثرها توافقًا، ببساطة بسبب طبيعة البرهان الرياضي .بعبارة أخرى، إذا استطعت تقسيم الموضوع إلى سلسلة من الأحكام والقضايا الفردية، وتنظيمها بترتيب منطقي، بدءًا بما هو بديهي وبديهي، ثم الاستدلال .الاستنتاجي ، كما ترى ، فهذا ما تفعله الرياضيات

عندها يمكنك الحصول على معرفة راسخة .الآن، في هذا المستوى من المنهج الجديد، يكمن الفرق الجوهري بين منهج بيكون الجديد ومنهج ديكارت الجديد في أن المنهج التجريبي، حيث تكون المقدمات تعميمات تجريبية، يوفر دليلاً، وربما احتمالاً، لكنه لا يقدم يقيناً مطلقاً .أما في منهج ديكارت، إذا كانت .المقدمات بديهية وبديهية، فإنك تحصل على يقين تام، كما يقول، لا يرقى إليه الشك

،اليقين ، الذي لا يرقى إليه الشك، هو أولى المقدمات التي لا تقبل الشك .والنتيجة هي أنه إذا كنت تحاول بهذه الطريقة، تبرير استنتاجات معينة، أي تبرير الاعتقاد بصحة هذه الاستنتاجات، فإن أقصى ما لديك على المستوى التجريبي سيكون الاحتمال، كما ترى .ومن ثم، فإن أحد مناهج تبرير المعتقدات، والذي يُعرف في نظرية المعرفة المعاصرة بالمذهب الاستدلالي، وسنتناوله بمزيد من التفصيل عند جون لوك في الأسبوع الأول من الدراسة في يناير، هو المذهب الاستدلالي عند جون لوك .في الواقع، يقول جون لوك إنه ينبغي عليك أن .تُوازن بين معتقدك والأدلة

من جهة أخرى، وضع ديكارت، بيقينه الذي لا يرقى إليه الشك، الأساس لمنهج تبرير المعتقدات، والذي يُعرف اليوم بالمذهب التأسيسي .حيث يسعى المذهب التأسيسي المتشدد، أو أحيانًا المذهب التأسيسي القوي، إلى التأكيد على وجود مبادئ أولية لا جدال فيها، وبالتالي استنتاجات يقينية لا شك فيها .أما المذهب التأسيسي المتساهل، فيميل إلى تخفيف هذا اليقين إذا كانت المقدمات أقل يقينًا، منطقيًا أو حدسيًا .لذا، نسمع هذا كثيرًا في نقاشات نظرية المعرفة اليوم، وإذا كنتَ من متابعي جاي وود أو في أي من محاضراته، فستسمعه باستمرار، لأنه مجال اهتمامه الخاص :الحديث عن تبرير المعتقدات، والمذهب التأسيسي، والمذهب الاستدلالي ، وهنا يكمن الاختلاف .يكمن الاختلاف في اختلاف نقاط الانطلاق لنظام استنتاجي، سواء في الاستقراء الباكوني، إن صح التعبير، والمقدمات التجريبية، أو في بديهيات ديكارت الشبيهة بالرياضيات .حسناً، هل هذا واضح بما فيه الكفاية؟ وبالمناسبة، فإن ما تقوله عن تبرير المعتقدات ينطبق عموماً في مجالات مثل الدفاع عن العقيدة، لأن الدفاع عن العقيدة المسيحية هو ببساطة محاولة لتقديم تبرير للاعتقاد بمعتقدات مسيحية معينة، كما ترى، لذلك فإن نفس الاستراتيجيات متضمنة.

في الواقع، يمكن تتبع تاريخ الدفاع عن العقيدة المسيحية من خلال تتبع تاريخ نظرية المعرفة، لأن الدفاع عن العقيدة ليس إلا تطبيقًا لنظرية المعرفة، على الأقل عندما يُمارس بتأمل في المنهج .إنه ببساطة تطبيق لنظرية المعرفة، حسنًا؟ حسنًا، إذًا، يتناول التأمل الأول ما نسميه عادةً الشك المنهجي، وفي قراءتك له، لاحظ العديد من الأسباب التي يوردها ديكارت لهذا النوع من الشك الذي يتبناه بسبب منهجه .لاحظ نسبية الإدراك الحسي.

نسبية الإدراك الحسي، ليس بالأمر الجديد، فقد تحدثنا عن ذلك منذ عهد ما قبل سقراط .حتى أفلاطون، نفسه تحدث عنه .يُقرّ التجريبي بنسبية الإدراك الحسي، كما ترى، تبعًا لظروف الملاحظة، وتبعًا للمُلاحِظ، وتبعًا للزمان والمكان، وما إلى ذلك.

ثانيًا، يطرح فرضية أن الله ربما يخدعنا، أو إن لم يكن الله يخدعنا، فربما هناك روح شريرة، أو شيطان خبيث يخدعنا، بحيث يكون ما نظنه حقيقة، وما نظن أننا نراه، ليس كذلك على الإطلاق .هل هذا ممكن؟ على الأقل هو احتمال نظري .أما مدى واقعية هذا الاحتمال فهو سؤال آخر، ولكن إن أردت شيئًا لا يرقى إليه الشك، فعليك أن تستبعد حتى أكثر الاحتمالات النظرية إن كنت تسعى إلى هذا النوع من اليقين.

لذا انتبه لذلك .لن يكتفي بالاحتمالات على الإطلاق؛ ضع ذلك في اعتبارك .ما يفعله إذن هو وضع قواعد محددة لما يريده، ليس في التأملات، بل في أحد أعماله الأخرى بعنوان "مقال في المنهج"، والقواعد الأربع الأولى التي وضعها هي :أننا لن نقبل كأمر بديهي إلا ما هو واضح ومميز لدرجة لا تدع مجالاً للشك.

لن نقبل كبديهيات بديهية، كحقائق بديهية، إلا ما هو واضح ومتميز لدرجة لا تدع مجالاً للشك .إن عبارة أفكار واضحة ومتميزة "هي السمة المميزة لجميع كتابات ديكارت .واضحة لدرجة لا تسمح بأي لبس أو" غموض.

واضحٌ لدرجة أنك تعلم أنك لا تخلط بين مفهومين مترابطين، حسناً؟ الوضوح والتمييز .الآن، لتحقيق الوضوح والتمييز، يعتقد أنه يجب علينا تحليل أي معتقد إلى مكوناته الأساسية .لذا، فلنُحلل أي مجموعة من المعارف إلى عناصرها المكونة.

هذه هي القاعدة الثانية .ثالثًا، أعد تنظيمها، واجعل هذا النهج التكويني يظهر مجددًا .أعد تنظيمها في شكل برهان منطقي.

أعد ترتيبها في شكل برهان منطقي .ثم، كما أخبرك معلم الهندسة في المدرسة الثانوية، تحقق مرارًا وتكرارًا من كل برهان، ومن كل خطوة في كل برهان .هذه هي القواعد التي يقترحها.

وكما ذكرت، فإن جوهر الأمر يكمن في النقطة الأولى، وهي الوضوح والتمييز .ومن الأمور المحيرة أنه يميل إلى استخدام مرادفات متعددة لمفهوم المعرفة الحدسية .فهو يتحدث عن الوضوح والتمييز.

هذا جزء من الأمر .إنه يستخدم مصطلحي الحدس والبديهي .والمقصود بالبديهي هو الوعي المباشر.

إدراك مباشر للأشياء على حقيقتها .لكن انتبه، فهو لا يقول إن لدينا معرفة بديهية بالأشياء المادية، ولا يقول إن لدينا معرفة بديهية بوجود الله.

هذه أمور تحتاج إلى إثبات .أما ما نملكه من معرفة بديهية فهو أفكارنا .فنحن ندرك أفكارنا بشكل مباشر، كما ترى.

وهو يريد وعياً مباشراً بوضوح وتمييز .أي، حدسياً .وعندما تتوفر هذه المعرفة الحدسية، فمن المناسب القول إننا نتعلم هذه الأفكار بالفطرة.

نتعلم من الطبيعة .من نور العقل الطبيعي .من نور العقل الطبيعي.

عبارة مثيرة للاهتمام .من الواضح أنها استعارة أفلاطونية .النور، بمجرد الخروج من الكهف، أو النور الموجود خارج الكهف، هو نور العقل الطبيعي، ولكنه ذو جذور أوغسطينية.

إلا أن ما كان عند أوغسطين نور الكلمة الإلهية يُنير موضوع معرفتنا، ويُنير العقل لرؤيته، أصبح عند ديكارت مجرد نور العقل نفسه .لا وجود لعقيدة الكلمة عند ديكارت، لأنه ليس من علماء اللاهوت المدرسي .فهو لا يملك نظرية المُثُل التي تُعطيه عقيدة الكلمة، كما طوّرها علماء اللاهوت المدرسي، كما ترى.

إذن، ما كان يُعرف بنور اللوغوس أصبح الآن مجرد نور العقل البشري .حسناً؟ نور العقل .وهو يُفرّق بين الواقع الموضوعي والواقع الصوري.

بمعنى آخر، عندما تكون لدينا فكرة واضحة ومحددة، بديهية في ضوء العقل الطبيعي، فإن ما يخطر ببالنا هو فكرة ذات واقع موضوعي .فالموضوع، الموضوع المباشر للوعي، هو الفكرة .الفكرة، لا الواقع الخارجي.

في نظرية المعرفة التمثيلية، ما تدركه مباشرةً هو أفكارك .لذا يتحدث عن الواقع الموضوعي للفكرة، باعتباره متميزًا عن الواقع الشكلي للشيء الخارجي الذي تمثله .فالواقع الشكلي هو سبب وجود الفكرة الواقعية موضوعيًا.

حسناً؟ هذه العبارات وهذا التمييز الأخير يصبحان في غاية الأهمية كلما توغلت في قراءة أفكاره، وستجدها تتكرر .هذه العبارة تحديداً، الأخيرة منها، تُصبح مؤثرة جداً في حجته لوجود الله في التأمل الثالث .لذا انتبه لها هناك، إن أمكن .لنرى.

أجل، هناك عبارة أخرى يستخدمها لا ينبغي أن تُفاجئك .إنها بديهية .بعض المعتقدات تحتوي على أدلتها الخاصة.

والفطرية .لكن احذر من هذه الأخيرة .تحدث أفلاطون عن المعرفة الفطرية، والأفكار الفطرية، ولكن بمعنى مختلف تمامًا عن الفطرية، أليس كذلك؟ فبالنسبة لأفلاطون، الفكرة الفطرية هي تلك التي تتواجد في ذهنك منذ وجود سابق.

.إنها فطرية حرفياً .عندما تولد، تكون لديك هذه الموهبة .كل ما عليك فعله هو استحضارها

لكن بالنسبة لديكارت، فإن كلمة "فطري "لا تعني شيئاً من هذا القبيل .الفطري يعني ببساطة أنه متأصل .فينا .إنه أمر طبيعي ، من أصل طبيعي

إنها فكرة طبيعية المنشأ .ليست خيالًا من نسج خيالنا، بل هي فكرة عفوية وطبيعية تنبع من العقل .كنت .أتحدث عن الأفكار، لكن لا توجد بين الأفكار التي يقصدها في هذا السياق أفكار تجريبية

لا شيء منها .ما يقوله هو أن العقل بطريقة أو بأخرى يشهد صعوداً داخلياً، يظهر في الوعي، ويبدأ العقل .نفسه تلقائياً في التفكير بهذه الأفكار .وهي، بهذا المعنى، أفكار قبلية

نعم، المقصود بـ "قبلي "هو ما يسبق التجربة بأكملها، أو ما هو مستقل عنها .وعادةً ما يُنظر إلى هذه الفكرة .القبلية على أنها عالمية - أي أن الجميع يمتلكها - وهي ضرورية أيضاً .فهناك ضرورة منطقية كامنة فيها

إن عكس ذلك ينطوي، بشكل مباشر أو غير مباشر، على نوع من التناقض .وهذا المفهوم القبلي، الذي بدأ مع ديكارت - أجل، له جذور أقدم منه، عند أفلاطون وغيره - ولكنه بهذا الشكل، يبدأ مع ديكارت ويمتد عبر هذا .التراث العقلاني القاري .هذا ما يميز العقلانية عن التجريبية حقًا

.يقول التجريبي إنه ليس لدينا معرفة قبلية .ويقول العقلاني إننا نمتلكها .معرفة قبلية

حسنًا، بهذا المعنى، عندما أعلن جيفرسون أننا نعتبر هذه الحقائق بديهية، نعم، هذا شكل من أشكال المعرفة القبلية .يبدو أن جيفرسون تأثر بالرواقيين أكثر من أي تقليد فلسفي آخر، ولذا ربما كان يقصد، على الأقل بالنسبة لأهل الفقه الروماني وما شابه، مثل لارك وغيرهم، أي أتباع ذلك التقليد .لذا عندما قال جيفرسون ذلك، ربما كان يستخدمه بمعنى أنه عندما تُعرض علينا مثل هذه الأفكار، فإنها تصبح فورًا لا .تُقاوم، بشكل طبيعي وتلقائي، عندما نفهمها

أتذكرون النظرة الرواقية للحقائق التي لا تُقاوم؟ نحن نعتبر هذه الحقائق بديهية، واضحة بذاتها .هذا نوع من المعرفة القبلية، مع أن ديكارت أراد أن يذهب أبعد من ذلك، ويبدو أنه لا يفكر في عقل العقل، ليس فقط في .إدراك شيء ما عند قوله، بل في توليد الأفكار تلقائيًا

تتطور هذه الأفكار تلقائيًا في الذهن، مثلًا، ستكون الفكرة المحورية بالنسبة له هي فكرة الله، أليس كذلك؟ فكرة الله، نعم .حسنًا، هذا، ما يُسمى أحيانًا بالمعيار الحدسي، معيار الحقيقة الحدسي، لا يُطبق فقط على المقدمات، بل على الاستنتاجات اللاحقة التي تستخلصها من تلك المقدمات، لذا فإن إحدى طرق ورود فكرة .ما إلى الذهن هي عندما تنحرف عن مقدماتك أثناء استخلاصك للنتيجة .إنها تبرز أمامك فجأة

ثلاثة زائد خمسة يساوي، هذا واضحٌ جليّ، كما ترى .يا رجل، سقراط بشرٌ، ولذلك فإنّ نتيجة القياس المنطقيّ واضحةٌ جليّة، كما ترى .لذا فهو يريد أن تكون النتائج في ضوء المقدّمات واضحةً ومحدّدةً قدر .الإمكان

،إذن، تعتمد طريقته على الحدس والاستنتاج .الحدس والاستنتاج .حسنًا، في ضوء هذا النوع من المتطلبات .كان متشككًا في البداية، لأنه عندما جرب هذه القواعد، يا للعجب، لم تقدم له أي دليل يُذكر

حسنًا، لقد تعرضت هذه النقطة التي انطلق منها ديكارت لانتقادات كثيرة .وعندما نتطرق إلى البراغماتية .الأمريكية، سنجد أن أحد مؤسسي هذا التيار، تشارلز ساندرز بيرس، يتحدث عن الشك باعتباره وهمًا محضًا .أما ديكارت فلا يشك في هذه الأمور إطلاقًا

لا، إنها حيلة منهجية، كما ترى .ولكن ما جدوى الحيلة المنهجية إذن؟ لماذا لا نؤمن بما نؤمن به على أي حال، إذا صمد أمام التدقيق؟ حسنًا، الفرق بين هذا وبين البدء من الصفر، وهو ما يفعلونه في عصر الشك والمناهج الأخرى .من بين الانتقادات الموجهة لهذا الأسلوب أن ديكارت يروي قصة حبسه لنفسه في غرفة .مُدفأة بمدفأة في أحد فصول الشتاء

كان مسافرًا، على ما يبدو، عبر هولندا، أو على الأقل البلدان المنخفضة، وقرر أنه سيضطر إلى تحمل برد الطقس لفترة .لذا، في غرفة دافئة، قرر أن يشرع في محاولة صياغة مجمل ما يؤمن به من خلال هذا النظام .الاستدلالي الحدسي .الآن، هل يمكنك تخيل ذلك؟ ها هو ديكارت في غرفته الدافئة

،الجو باردٌ بالخارج .لنضع المزيد من الحطب على الموقد .الآن، أين كنا؟ هل ما زلتُ على قيد الحياة؟ أوه .نحتاج إلى المزيد من الحطب على الموقد

هل فهمت التناقض الضمني؟ بعبارة أخرى، ما يفعله نظرياً يتناقض مع ما يفعله عملياً .لم يزعجه ذلك، لأن .المعيار الذي كان يعتمد عليه لم يكن معياراً عملياً، بل كان لديه نوع مختلف من المتطلبات

قد تُفسَّر التجربة العملية بطريقة أخرى، كما هو الحال، بالطبع، لاحقًا مع جورج بيركلي، المثالي الذاتي .لكن عادةً، سيرفض الواقعي الذي يريد أن يجادل بأن لدينا وعيًا مباشرًا بالواقع منهج ديكارت رفضًا قاطعًا .فإذا قلنا .إن لدينا وعيًا مباشرًا بالحقائق الخارجية بدلًا من كونها تمثيلية بحتة، فلن نحتاج إلى هذه البراهين

شعورك بالبرد دليل على أن لديك جسدًا .هل سبق لك أن أصبت بدوار البحر؟ صدقني، لا أستطيع أن أتخيل أي شخص مصاب بدوار البحر وما زال أمامه أسبوع كامل في البحر يتخيل أنه ليس لديه جسد .إنه أمرٌ فظيع .حقًا

.تشعر وكأن نصف جسدك قد سافر إلى الخارج بالفعل .حسنًا، هذا هو نوع النقد الذي يتعرض له أحيانًا